التجلي العاطفي في النص السردي
رواية "عشاق شهرزاد" لسليمة غزالي
ترجمة عبد الرزاق عبيد

أ. باهية سعدو
جامعة امحمد بوقرة-بومرداس-
أ.د آمنة بلعلى
جامعة مولود معمري –تيزي وزو

ملخص:
تظهر العواطف في الخطابات الأدبية حاملة معاني متعددة تنبعث كالرائحة، وتتمظهر كالألوان، وتتجسد كالأفعال بواسطة الجسد المحس، وهي ليست خاصة بالفاعل وإنما خاصة بالخطاب، لذلك أثناء تحليل النصوص لابد الوقوف عند البعد الانفعالي إلى جانب البعد المعرفي والتداولي الذي اهتمت به الدراسات السابقة يقول هيجل:«لا شيء يتحقق دون عواطف».

Résumé:
Les *passions* apparaissent dans le discours littéraire, véhiculant des significations multiples qui sont émises comme des odeurs, apparaissent comme des couleurs, et sont incarnées comme des actes du corps, ce qui n'est pas spécial à l'acteur mais surtout. Dans le discours, ainsi lors de l'analyse des textes doit se tenir à la dimension émotionnelle, avec la dimension cognitive et pragmatique , qui était intéressé par les études antérieures, dit Hegel, *: "rien de grand ne s'est fait dans le monde sans passion".*

إن العاطفة تقبع في ركن قاص وخاص في الكتابة النسـوية الجزائرية مترقبة تلك الجدلية التي تحمل الكثير من سـحنات وملامح العلاقة بين النص والخطاب،المرأة والرجل،الذات والآخر، الألم واللذة. وتتأكد المدلولات الخاصـة بالعاطفة عند الروائية والصـحفية الجزائرية «سليمة غزالي»*[1] انطلاقا من الدور الذي تبنته كمنطلق خاص بالشعور بالتمايز والاختلاف، وتشكيل هوية الذات .

هذه الذات"شـهرزاد" التي تتماهى عبر الزمان والمكان لترسـم لنا لوحات أدبية خالدة، تزخر بالكثير من النوازع النفسية والأصداء والأصوات، إنها قصة تعيد تكرار نفسها في زمن ضج بالقهر والاسـتبداد واليأس، إنها أسـئلة الذات والعواطف التي تطفو على السـطح لتسـرد لنا عقدة الرّجل المحتقر للمرأة، المتعالي بفهمه وعقله لكل الأمور، لتلقّنه هذه الشـهرزاد بهدوئها وقدرتها في التحكم في المواقف وبتغليبها العاطفة على العقل حقيقة يجهلها، حررت بنات جنسـها من مرض اسـتئصـال جنس النسـاء، إنها العواطف التي حظيت باهتمام كبير من الشعراء والفلاسـفة وعلماء النفس قديما و حديثا، واسـتقطبت آراء لا يسـتهان بها في مجال التنظير والتحليل عند كل من السـيميائي "جاك فونتاني" و"غريماس" وذلك في كتابهما «سـيمياء العواطف»، يشـير فونتاني في معرض حديثه عن قيمة العواطف في مقدمة قاموس العواطف الأدبية:« العاطفة تعرف بنفسـها يشـاد بها في الإعلام، نعيش في عالم أين يحترم فيه صـاحب العاطفة ويمدح، وغير المكترث،الهادئ المتأمل يترك جانبا(...) علينا أن نتظاهر بالعيش بالعاطفة لأنها تدفع إلى التفوق، إلى العيش بقوة إلى الإشـادة بالحياة اليومية، والتي ستصبح بلا هذا مملة وتافهة[2]».

ويعرف "جيروم أنطوان روني" العاطفة ويقول:« العواطف هي نمط حياة»[3]، فلا يمكن إذن أن نتخيل ذاتا مقطوعة من عواطفها وأحاسـيسـها وانفعالاتها، وهذا ما يؤكده جاك فونتاني أن الدارس والباحث اليوم لم يعد بمقدوره أن يتجاهل البعد العاطفي للنصـوص والخطابات، وليس بعواطف الشـخصـيات التي تفرض واقعيتها، وسـواء كنا من مناصـري التحليل النفسي أو لسانيات التلفظ فإنّ أهم شيء في الطرح هو اعتبار العالم العاطفي لغة يخضـعه لنوع من العقلانية التي تبعده من المقابلة التقليدية بينه وبين العقل، فإن كان لابد أن نقابل شيئا ما في تحليل النصوص، فالأجدر أن نقابل الفعل لا العقل»[4].

ويعتبر التمظهر المعجمي كأول مرحلة لاسـتخراج المعلومات الأولية حول الكيفية التي تعمل بها العواطف، بالرغم أنه لا يمكن الإحاطة بالبعد العاطفي للنص من مجرد المقاربة المعجمية، كوننا لا نتعامل مع بنية الخطاب ككل، وإنما نتعامل مع أدوات نوعية(أجزاء ووحدات) ونحن نعلم أن البنى الكلية للخطاب هي التي تحدد البنى الجزئية المعجمية والجملية، وهو حال العواطف التي لا تتحدد ولا تتلاءم إلا في إطار الخطاب ككل،إلا أنها تبقي مقاربة ضرورية ومكملة لإضاءة البنى الدلالية والنحوية المنشئة للآثار العاطفية»[5] وباعتبارها قاعدة الهرم في سلم القيم الإنسانية.

إنّ اللغة تعطي تصورها الخاص للفضاء العاطفي عن طريق الحقول المعجمية الخاصة بها، إضافة إلى أنها تكشف التنويعات الثقافية الحاضرة في قلب التأثيرات العاطفية والجماعية.غير أنه لابد من الإشارة إلى احترام خصوصية النصوص العربية وتجلياتها الثقافية، يقال أن الأديان والأجناس و اللغات والثقافات تختلف وتفرق بين الناس، ولكنهم دون استثناء يشتركون في عواطفهم وانفعالاتهم سعادة أو شقاء، إذن فلابد من تمييز طبيعة العواطف في الثقافات من خلال تعبيراتهم، « وهذا ما يجعل تمظهر الهوى رهينا بوجود ملاحظ مؤهل ثقافيا»[6]، فالعواطف تختلف من سياق ثقافي إلى سياق آخر وكذا تجلياتها وإيحاءاتها الفردية على نحو مميزات البخل العربي والبخل الغربي، فالزمن والمكان والظروف تتدخل بشكل أو بآخر في تحديد مقومات عاطفة على أخرى، لذلك لابد من الاستئناس بالمعاجم العربية لضبط المصطلحات.و«مع ذلك هناك فاصل بين الهوى باعتباره تجاوزا لحدود العتبات الثقافية، وبين المشاعر التي تشير إلى حالات الاعتدال تفترضها الثقافة تحتكم إليها من أجل قياس حجمها وتصنيفها حسب الكثافة والامتداد والإيقاع...لذلك فإن الحكم الأخلاقي لا ينصب على كينونة المشاعر في ذاتها، بل يحكم على الفائض الانفعالي الذي يحول هذه المشاعر إلى هوى»[7].

وينطلق أيضا المنهج التحليلي السيميائي من(الاستهواء) الذي يعدّ المدخل الرئيس الذي تلج منه سيميائية العواطف لتحليل الخطابات و«يحيل على حركة تشتمل على الانفتاح والانغلاق، إنه اندفاع محسوس ودال إنه شيء يدفع إلى، و يؤدي إلى، إنه دينامية جسدية، ويقوم مكوناه الصالح والطالح بتوجيه..إنه من هذه الزاوية يشير إلى مجمل الشروط القبلية لظهور الدلالة...»[8]

-ملخص الرواية:(عشاق شهرزاد) هي رواية جزائرية "لسليمة غزالي" ترجمها "عبد الرزاق عبيد "، تتفرد بامتياز في تجلية ستائر عالم مضطرب، تسرد و تطرح قضايا ذات طابع إشكالي مثل: الحب والكره، الإنسان والحرية، الوطن..إنها محاولة جادة لإضاءة صادقة لعواطف الإنسان، فشهرازاد تتخذ من الكتابة وسيلة لجعل ذاتها متحققة داخل النسق الذكوري وفي كفاءاتها المتعددة والمختلفة في آن واحد، شهرزاد الوالدة، الزوجة والعاشقة،هذه المرأة الرمز المثخنة بالكثير من الوجع والحزن والقهر تبوح بقلقها النفسي والتوتر العائلي، الخوف من الإرهاب الذي لم يرحم طفلا ولا شيخا، همه القتل والتنكيل.

ثمة قوتان متناقضتان تتصارعان في داخل لاشعور شهرزاد لإثبات وجودها وكيانها، وكذا خلق توازن لعواطفها. ويمكننا أن نمثل لهاتين القوتين بالشكل التالي:

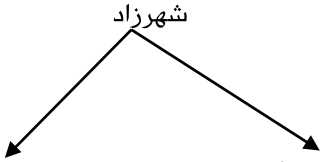

(الدين–الانغلاق-متحمس–العقل-البيان-البرهنة-اليأس)(الرومانسية-الحرية-الأمل–الطبيعة-العاطفة-الانفتاح)

وقعت بين عاطفتين متناقضتين وتيارين مختلفين فهل الرضوخ لفن البقاء والاستسلام أم إعلان الحرب؟ إنها اختارت بُعدا آخر وحرب كردة فعل منها، فبقيت مضطربة ويائسة، البقاء تحت السيطرة وقوة التحرر ممن؟ من الرجل؟ من السلطة؟ من الكتابة؟ أو من العشق من العاطفة؟ والعشق مرتبة عالية في سلم مراتب الحب كما صنفها "ابن القيم الجوزية" ويكون عندما يتعلق الطرفان ببعضهما إلى درجة فقدان العقل وليس مجرد اكتفاء عاطفي، فمن هم عشاق شهرزاد؟

تحضر في الرواية أربعة شخصيات نسوية جمعهن القدر، تعيش في دوامة عنف وصراع وحرب، لكل واحدة منهن وقفة عبرت من خلالها عن رؤيتها الاجتماعية والفكرية ودورها في المسؤولية: شهرزاد، طاوس،رحمة، تامزة .

- شهرزاد الأم التي أتعبتها الأيام، كثيرا ما تركن في زاوية تترقب هذا المجهول وزمن الهزات المروعة، تتجرع ذكرى آلام الذكريات المظلمة، تنجب ولدين من أبوين مختلفين أثير ابن المعلم ونور ابن العسكري.

-تتزوج رحمة من أثير وتحبل، امرأة شابة تطمح إلى غد أفضل مع مشاعر مضطربة تبحث عن الثقة التي لم تجدها مع من تعيش معهم.

-الطاوس هي الطفلة الصغيرة التي فرّت من مخالب الإرهاب منقذة أخاها الصغير ليجدها ابن عمها نور في الغابة منهكة القوى.

-تامزة المجنونة التي تطوف الشوارع عارية، التي لم يكن لها ذنب إلا كونها بنت وكفى.

على ما يبدو ارتباط الاسم بالشخصية السردية هو في الحقيقة ارتباط بمصيرها ودورها ولاشعورها في شكل ثنائية ضدية، يجسد طقس الحرف طرفها الأول، وتشكل دلالتها العكسية طرفها الثاني، إذ ما تنطوي عليه الأسماء الموظفة ينتظم ذلك في علاقة مفارقة عكسية واضحة إذ إن الشخصية غالبا ما تؤدي دورا نقيضا لاسمها ويبرز هذا جليا في شخصية رحمة التي تعيش في كنف الاضطهاد والاضطراب، كما أنها لم ترحم زوجها ولا وثقت به، فلم تبق رحمة في قلبها تقول:«لكنني أشك في كل شيء في الشمس التي ما زالت تجرؤ على السطوع وفي الهواء العابر وفي كل ما يقال هنا وهناك....»7

فالاسم الذي يختاره القاص أو الروائي لايمثل بالضرورة مواقف أو سلوك الشخصية وأفعالها وعواطفها، ويقر "فيليب هامون" في معرض حديثه عن الشخصية بوصفها دالا« تتخذ عدة أسماء أو صفات تلخص هويتها»[9]، فالأسماء إشارات سيميائية دالة على جوهر الشخصيات بحيث تسهم في تعميق وجودها الفني وقد تجد إلى جانب كل ذلك تقريب جزء من الملامح الخارجية، وقد تحمل اسم الشخصية دلالات أعمق كما هو شأن تسمية "تامزة": اسم يعني بالأمازيغية المعتوهة أو المجنونة أو الغولة الشعثاء، تامزة اليأس المحيط بالرقبة الممتدة كالمنادية للعناق المحتوم والرقة البلهاء في عمق العيون، التي على استعداد لتنصهر في جداول من دموع في حالة...عندما ولدت رفض والدي أن يصرح بي إلى مصالح الحالة المدنية، وأنفت أمي أن تسميني كنت البنت الزائدة... ما من زغاريد...»[10]، فكأن اختيار الروائية لأسماء شخصياتها مما تحمله الحياة من تناقضات لتضعه في صورة مختلفة لشخصياتها بغية وسم أفعالها وطبع دخيلتها.

تعج رواية عشاق شهرزاد بطاقة مشحونة عاطفيا ممتزجة بأحاسيس متضاربة ومتموجة ومشاعر متناقضة تترك ضلال لكثافتها وشدتها وتماهيها تكاد تبوح بلواعجها ومعانيها. فمنذ المفتتح تستظل الروائية بأروقة العواطف والموت وما بينهما من علائق تجسرها الاستعارات لتحيلها إلى فضاء روائي تنسج حواشيه الاندفاعات النفسية المخترقة لتلقائية الكلام السردي، وتعانق جملة من الترتيبات الفنية والسردية التي تفجر تيمات نختزلها في تيمة: "اليأس، الخوف، الكره" التي تنهال عليها الوحدات المعجمية المتراكمة داخل الرواية (الذعر، المعاناة، الروع، الهلع، الرعب، الهيجان، الخطر...) فيعظم البعد العاطفي باستيهامية وبتحد وجرأة وبصمت بليغ ليعطي الأسبقية للوصف وتمثيل المشهد.

1-شهرزاد الكتابة الرغبة والرهبة:

تتفرد الذات في بداية الرواية في إثبات رغباتها في الحضور والكتابة، إنه إثبات لكينونتها وخلاصها، فلكل كتابة حالة وطقوس وخصوصية؛ فهل تكتب لتتنفس أو تكتب لتختنق؟ إنها تغير أماكن التمويه بجسدها، وتعبر عن (رغبة جامعة) في الكتابة، إنها عبارة تتكرر أكثر من مرة على مدار الرواية، والكتابة قائمة أصلا على أربعة دوافع "الرغبة والرهبة والطرب والغضب" التي ترتبط أغراض الشعر العربي بها، فهل يستقيم القول على هذا التصور؟ فإذا كانت الرغبة والرهبة والطرب والغضب دوافع تثير الانفعال وتدفع للكتابة فلما هذا الصمت الذي تناشده في كل مرة تقول:«رجعت شهرزاد إلى مضجعها تنشد النوم عبثا...وكانت نفسها تهتز لقصة واحدة، تلك التي جعلتها تارة تزمجر وطورا تسكت، وكل شيء يفرضه التشابه المكاني والزماني أو الظرف الراهن يثير في نفسها كثيرا من التقزز.»[11]، فشهرزاد من خلال هذا النزوع راغبة بعالم أخلاقي مثالي يحرر قيودها، و«النزوع يحيل بشكل مباشر على الميل الطبيعي والاستعداد فيتحدد باعتباره رغبة وباعتباره إرادة ثابتة ومميزة للفرد، فالذي ينزع إلى يقوده ميل طبيعي ودائم»[12] إن" الاضطراب والتذبذب حالة مستقرة تعاود نفسها كلما عادت شهرزاد إلى مضجعها بين أن تعلن ما يخالجها بالصراخ أو تحتفظ به لنفسها، وهذا ما تؤكده لفظة" تزمجر وتسكت، تهتز زمن الهزات المروعة"، وعلى ما يبدو أن هذا النزوع سيتحول إلى ميل وإلى انفعال، تقول: «عادت شهرزاد مرة أخرى إلى مضجعها لتلقي بكل ثقلها على قلبها، فقد كانت تتحسس مقدم العاصفة الفظيعة بين الكلمات قبل أن تقفز على الأرض وكانت النبضات شديدة الألم تكاد تنفجر في جوفها، قامت من مرقدها وفتحت التلفاز»[13] .إنه الرجوع إلى الكتابة لتتكئ على قلبها مصدر إلهامها، ومركز وجدانها، ومحرك أفكارها لتنفجر في جوفها وتقفز إلى الأرض.

يتخذ الانفعال تجليا ديناميا محركا للعواطف الأخرى وهنا يبدأ الاستهواء في أخذ موقعه حيث يغزو نفس شهرزاد و دون استئذان يتوغل في الأعماق والدواخل لأنه:« انفعال على صلة بالعقل والإدراك وبالجسد....»[14]. هنا يتحقق لها ضرورة الكتابة« إما الاستسلام..وإما الرضوخ لفن البقاء بالرياء وذلك كردّ فعل منها منذ آلاف السنين..»[15]، نعرف أن حالة انفعالية لابد أن تتوج بردات فعل يعلنها الجسد بها تستطيع أن تثبت وجودها يقال قديما تكلم لأراك.

إنها امرأة عانت جميع الانكسارات وبقيت صامدة لمواجهة الحرب والبأس، ولكن حان الأوان أن تستشيط غضبا ورهبة لتفجعها تقول:« تمددت شهرزاد بكل قواها سوف تكون ليلة جفاء

ولن يأتي الفجر، إلا ريثما يتحقق شيء ما،كان عليها التزود بذاكرة فسيحة المدى لكي لا تستسلم للصعود الأدرينالايني المستشيط غضبا، ولكي تستطيع المقاومة كانت في حاجة إلى أن تحب»[16]، فلا تفيد الرغبة والنزوع والإرادة ما لم يتحقق هذا الغضب المتعانق بالقدرة «فإذا كان الشعور يستند إلى المعرفة يأتي الانفعال فيؤثر من خلال نتائجه وتجلياته، لذلك فهو يعتمد القدرة، والنزوع والميل فيتعلقان بالإرادة...»[17]

وهكذا يكون الارتباط عضويا بين الطرفين الانفعال و الكتابة، فمع كل شعور يولد المعنى يقول "داماسيو ألونسو":« على أن كل خاصية لغوية في الأسلوب تطابق خاصية نفسية»[18]، ويقول رولان بارث:« العاطفة أساس الأدب »[19]. وعلى هذا الأساس يمكننا أن نمثل لهذه العلاقة (الحالة النفسية والكتابة) انطلاقا من كونها آثار المعنى فالذات الحالة والذات الفاعلة لابد أن تمر بمرحلتين سابقتين وهما التفكير والإحساس، لا يمكن أن تتشكل كذات راغبة إلا من مرورها بمراحل بدء بالنزوع مرورا بالاهتزاز وصولا إلى فعل الكتابة ويمكننا تمثيل ذلك كما يلي:

ذات تحس ← ذات تفكر ← ذات تفعل

رغبة في الكتابة الرهبة والاهتزاز فتحت كتابا

إن الذات تشكل أربع حالات سردية أثناء الكتابة؛ فهناك الذات الكامنة تنزع إلى التذكر وتجريب الحكي، فلم تعد تخاف لومة لائم في قول الحقيقة لأن الموت موتتان موتة الأفكار والموتة الحقيقية، فإما الاستسلام والرضوخ لفن البقاء والتجرؤ والاعتراف لبني جلدتها بأنها لم تعد تحبهم، ولا تريد أن تحبهم جملة وتفصيلا، إنها الذات الكامنة التي«تنتظر ولم تكن تعلم ما ترى فعلا، ولا لما ساعات بأكملها تطارد صورة لتمزقها بعد ذلك مثلها مثل ابنة عمها البعيدة بينيلوب[20] تغزل نهارا وعندما يخيم الليل تتلف ما صنعت يداها»[21]

أما الذات المفترضة والمحينة فهي متذبذبة بين الصمت والاهتزاز، إنها مفجوعة وخائفة من المجهول تقول شهرزاد:« إنه زمن الهزات المروعة عندما تتتالى العناصر وتمتزج بالأنين الساخط عندما لا ندري إن كان البحر هو الذي يتجبر أم الحريق الباهر هو الذي يتصاعد، عندما تتهاوى الأشجار الجبارة نائحة وتدق الريح المستشظية الأرض غضبا عندما تتزوج العاصفة الرملية العاصفة الزبدية وتلازم غمامات الرماد والجمر مراتع لهوها، إنها العلامة على قدوم شيء ما ولا جدوى من التخلف على جلبة العالم وأنه الزمن الذي تنحت فيه الكلمات على اللحم»[22]. صوت الذات ينطلق من الأعماق، نلمس ذلك مع افتتاح السرد بتلك العوالم الباطنية التي تبحث عن الخلاص بالارتماء في أحضان الطبيعة باحثة عن الإجابة العقيمة، إنه هاجس الذات وسؤال العاطفة. ومن ثمة فالكتابة تتحول من الإحساس بالأشياء والاندماج فيها، وتشغل الذاكرة باعتبارها المرجعية التي تثبت الكينونة والوجود.

-تجليات اليأس والأمل:

فمنذ المفتتح تستظل الروائية بأروقة العواطف والموت وبينهما من علائق تجسرها الاستعارات لتحيلها إلى فضاء روائي تنسج حواشيه الاندفاعات النفسية المخترقة لتلقائية الكلام السردي، وتعانق جملة من الترتيبات الفنية والسردية التي تفجر تيمات نختزلها في تيمة "اليأس، والأمل" وهي من الجدليات التي تنشأ عن مقاربة القيمتين الممثلتين لطرفها القطبيين لا بوصفهما نقيضتين فحسب وإنما كشريكتين في مركب جدلي تفاعلي حافل

بالعديد من التجليات والرموز التي تنهل عليها الوحدات المعجمية المتراكمة داخل الرواية(الذعر، المعاناة، الروع،الهلع، الرعب، الهيجان،الخطر.....) فيعظم البعد العاطفي باستيهامية وبتحد وجرأة وبصمت بليغ يعطي الأسبقية للوصف وتمثيل المشهد.

تيمة اليأس والخوف من العواطف التي كثيرا ما تطفو على سطح الروايات الجزائرية كروايات" عز الدين جلاوجي" و"أحلام مستغانمي" وغيرهما، وتمنحها تميزا وواقعية بحكم معايشتها لوقائع كابوس الاختلال الأمني خلال العشرية السوداء، لأن الرواية في أوضح تعريفاتها وأكثرها شيوعا«هي ذلك الشكل الأدبي الذي يقوم مقام المرآة للمجتمع، مادتها الإنسان في المجتمع وأحداثها نتيجة لصراع الفرد مدفوعا برغباته ومثله ضد الآخرين وربما ضد مثلهم أيضا، وينتج عن ذلك الإنسان هذا أن يخرج القارئ بفلسفة ما أو رؤيا عن الإنسانية»[23]،إذ يعدو الخوف بمثابة عدوى سكن القلوب وتجذر في النفوس، وكان للبنى الاجتماعية والثقافية وخاصة السياسية منها –غير المتوازنة -أكبر الأثر في ظهور عواطف اليأس والخوف في المجتمعات العربية والمجتمع الجزائري بالخصوص، فبعد الاستعمار ترعرعت عقول الشباب بطموحات عريضة في كافة المجالات، طموحات لم تتحقق لفساد النظام شعارات تنادي بالحرية والرخاء والتقدم ولكن الواقع كان أقسى من ما يتصورون مرحلة ودوامة من الموت والشقاء، فباؤوا بالفشل وتجذر اليأس والقنوط في النفوس وخيمت العواطف السلبية من الانتقام والانتحار والجنون، هذا ماجعل الروائية وغيرها تستفيض من ذكر ما يؤول إلى زمن اليأس تقول:«أن هناك زمنا للهزات...إنه الزمن الذي تنحت فيه الكلمات على اللحم...إنه زمن الآلام الباردة، اللانسانية والصراخ..ليلة فظيعة ترصعها حلكة ساطعة...»[24]

إن لغة الرواية تعج في طياتها بمؤشرات كثيرة للدلالة على اليأس الذي هو عاطفة سلبية تنهض على خلفية الحرمان من القيم التي تنيطها الذات بموضوع ما، هي ذات حالة وليست ذات فعل، وهو يصعد في الرواية عقب الصراع اللامتناهي والحرب المعلنة وعدم الثقة والأسى مع الخوف، يؤكد جاك فونتاني ويقول :«أن تمظهر اليائس مكيف وفق واجب الكينونة وإرادة الكينونة وفضلا عن ذلك، فإنه لا يمكن أن يكون ويعرف كيف لا يكون، ففي الحالتين فإن إرادة الكيفية المهمة هي إرادة الكينونة التي يمكن أن تنتهي إلى تمرد أو انهيار عصبي من جهة أخرى.. يتضمن عدة كيفية من نوع تصارعي وذلك لكون إرادة الكينونة ومعرفة عدم الكينونة وعدم القدرة على الكينونة من جهة أخرى يتعايشان دون أن يتغيرا أو يتناقضا ويتضادا محدثين شرخا داخليا للذات»[25]

إن القراءة المتأنية لرواية عشاق شهرزاد تجعلك تكتشف للوهلة الأولى مظاهر عديدة ومختلفة لليأس عبر سلسلة حاكت خيوطها الروائية، لتجتمع بأشكالها وصورها لتصب وتتلخص في لوحة حياة شهرزاد،الشخصية الأساسية وبؤرة الحالات العاطفية والعقلية والخيالية المتراكمة على مسار الرواية بدءا باليأس العشقي الذي تمثل صورته بينيلوب مرورا بالإحباط و العجز وعدم الثقة وصولا إلى الجنون والانهيار.

1-الليل صورة لليأس:

تستوقفنا كلمة الليل والظلام في الرواية في أكثر من موضع، هذا الفضاء الزماني الذي يعبر غالبا على السكون والأمان، وقد يخرج إلى دلالات الخوف والموت واللارؤية لما يخفية

الظلام من أسرار واعتبار المكان والزمان مخيفا منوطا بالحالة الشعورية للشخصية وتقلباتها، يكسب صورته الدرامية وطابعه المأسوي من خلال الأسود الذي هو لون الحزن واليأس، والليل يلقي انعكاسا نفسيا سلبيا على الشخصية، كما أنه الغطاء الذي فيه تترصد الوحوش ضحاياها. إنه مصدر الخطر ولاشيء يؤتمن مع مجيئه تقول الروائية:«..لا تكوني معتوهة كل من يأتي ليلا فهو خطير حتى أنا، يجب أن تستوعبي هذا جيدا إذا كنت لا تريدين الموت»[26]

نلاحظ أن اليأس والقنوط **والحذر** دبّ في قلوب أصحاب القرى واستدعاء الليل تساوي الموت.

2-الحريق صورة اليأس:

يستعير الإنسان من الطبيعة عناصرها المكونة لها وله، إذ أنه منها استدعى أحاسيسه الأولية التي تترك فيه أثرا نفسيا، فقد ارتبط العشق عند العرب بالنار لإحراقه واشتعاله و قد تخرج دلالات النار، وقد تخرج إلى معاني تفيد التشويه والفناء والخراب. إن الحريق الذي أشعله القتلة وتعالت ألهبت حتى لم تتمكن جموع الناس من إخماده صورة أخرى للضرر النفسي و**العجز** الذي تعيشه شهرزاد وتعيشه الجزائر، يدفع التوتر الانفعالي إلى اليأس واستذكار معاناتها مع الرجال تقول:«إن الحرائق مثل الرجال،كل شيء يتوقف على حدة اهتزازهم، هناك أوقات يمكن هزيمتهم فيها وأوقات يتعذر ذلك، يجب حينئذ معرفة كيفية تحويلهم ورسم المسار الملائم لك بدلا من المسار الذي يختارونه هم لأنفسهم»25، نلاحظ أن فلسفة الحياة علمت شهرزاد أشياء عن الرجال فهي لا تثق فيهم ولا لخططهم إنها ترسم مسارا مغايرا لمسارهم لكي لا تلتقي بهم ونحن نعرف أن عدم الثقة من مفردات اليأس التي تستحضرها بشدة لأنها تحترق من الداخل كما تحترق المداشر.

3-تامزة صورة اليأس:

إن توتر الذات وانفعالها جعلها تستحضر كل الذكريات التي مرت بها لتترك فيها أثرا عميقا سرعان ما تلجأ إلى انكسارها وانحسارها، وهاهي تتذكر تامزة المعتوهة المستغلة المطحونة اجتماعيا الخاضعة للهيمنة الذكورية. وتعتبر ها رمزا **لليأس** المحتوم، وأنها شبيهتها تقول شهرزاد:«أحس الآن بأنني مثلها..لدي انطباع بأنه لاشيء منسجم أو له معنى أو يمكن أن يتبادل مع الغير كأن كل واحد منا متورط في فوضاه الداخلية لا يستطيع عمل أي شيء.. ما خلا تجشأ وتشنج الأوجاع واليأس»[27]تتداخل جوانب عدة من حياة شهرزاد مع حياة تامزة، إن استدعاءها هو بحث عن نفسها في الوجود الحزين واليائس امرأة فقدت كل وسائل الإدراك، فتامزة لا تملك الكفاية الذاتية أو القدرة على التحكم في نفسها، لا تملك العقل ولا العاطفة التي تجعلها تفهم العالم.

4-الجزائر صورة اليأس:

تتجسد الحالة النفسية والعاطفية لشهرزاد بالمقارنة مع صورة الجزائر الجريحة والمغتصبة التي تئن وتحترق عاجزة من إنقاذ نفسها، إنها لا تملك كفاية ذاتية، فوقعت في اضطراباتها وتناقضاتها وانغلاقها، تقول الروائية وهي تشبه شهرزاد بالجزائر:« مخلوق كالمتاهة إن شهرزاد تشبه الجزائر لا تعلم أبدا عما كانت ستبهرك بانفتاحه مهيبة على البحر من منتهى زقاق قذر أو تكتفي بأن تجعلك تهيم على وجهك...المدينة الروح والقلب المتغير»26، حيث

تجتمع كل مرادفات ومؤشــرات اليأس مجتمعة في تشــكيلة واحدة وهي المتاهة التي تدل على الانغلاق والضــياع ومن خلال هذه الصــور التي تم إيرادها يمكننا أن نمثلها بالشــكل التالي:

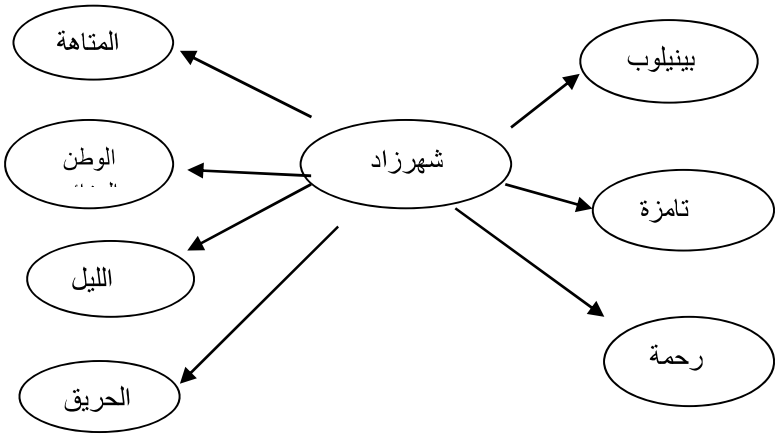

وعليه فإن المرأة كانت ولازالت بمثابة أيقونة لايمكن الا ستغناء عنها، ووجودها كائن حيث لا يقوى الآخرون على الحضور تعلن أن قضيتها قضية عدل فلا مجال لاضطهادهن و الممتد منذ القديم فبعواطفهن أسـدلن السـتار عن هواجس تؤرقهن لتطرح أهم انشـغال متعلق وعالمهن الخاص فجاء نص الرواية عبارة على فسـيفسـاء تقدم كل قطعة منها قضـاياها وقضايا المجتمع باعتبارها جزءا منه بمختلف أبعاده .

لم تخض شهرزاد أي معركة أو تجرؤ على فعل عمل يحقّق رغبتها التي بقيت على مستوى الاهتزاز الروحي فخمدت عاطفتها وسـكن انفعالها لأنها ذات حالة وليسـت ذات فعل، لم تسـتطع منذ البداية اسـتكمال قصـتها فخيرت أن تطارد صـورة لتمزقها بعد ذلك إنه الخراب والانكسـار والخيبة هي أحاسـيس متضـاربة ومتموجة لم تتحول في مسـتوى المسـار العاطفي، فقد بدأ بمحاولة فاشـلة في إيجاد عشـيق فهي ذات واحدة تتجاذبها ذوات عديدة، فلم تسـتقر على أي منهم، فهم عشـاق كثر هذا ما يؤكده عنوان الرواية، تقول:«أأجرؤ وأعترف لبني جلدتي بأنني لم أعد أحبهم...أغلقت شـهرزاد كتابها قبل الفجر دون أن تظفر بعاشق أحلامها الذي يحمل معها ثقل الأيام التي تتمزق على تعاسة الضعفاء. ويمكن تمثيله بالمخطط التالي:

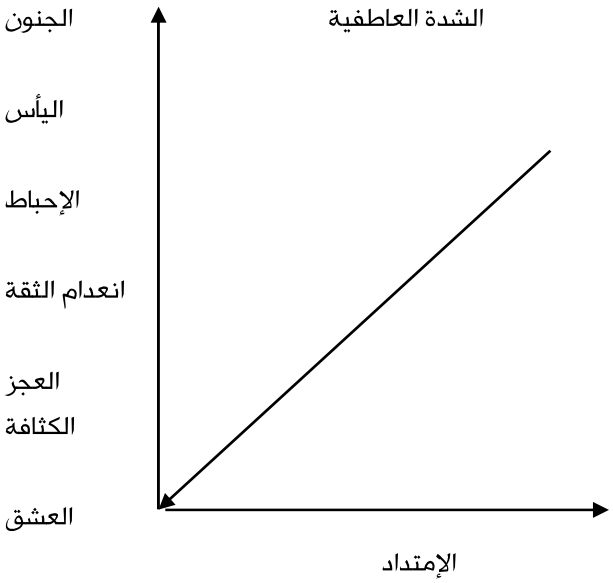

المخطط العاطفي القاعدي للذات العاطفية

نلاحظ أن هناك تدرجا في ســلّم المخطط العاطفي بحيث يظهر خمود ونزول في مسار تطور العاطفة

خاتمة:

تتأثر الذات سواء أ كانت ذات حالة أم ذات فعل أم ذاتا منفعلة بما يحاط بها فهي تستمد شدتها وكثافتها منه بالتأثير والتأثر، فالإنسان ابن بيئته يستمد مقوماته وأفكاره وعواطفه منها، تمكنت أخيرا الروائية أن تكسر جدار الصمت بكل تأكيد وتثبت فاعليتها كطاقة مشحونة بالعواطف التي أبت في الكثير من المرات الإعلان عنها لأنها مقهورة و مطحونة من طرف الرجل ومن طرف المجتمع، لكن المرأة ا ستطاعت بدهائها المتجذر من عهد بينيلوب في الأوديسة، وشهرزاد في ألف ليلة وليلة أن تغير من بناء جوهر الخطاب الأنثوي من خلال ظاهرة التخفي وراء مقاصد المؤلف الحقيقية.

إنها صورة أخرى متقنة ورؤية جديدة لطريقة استثمار المرأة خصوصيتها الأنثوية في بناء نص خطاب سردي بعيد عن الصورة التي وصفها فيها الرجل. هي كتابة روائية يمكننا أن نعتبرها حقلا ملغما؛ ففي كل قطعة منه تتفجر الدلالات وتتفتق المقاصد إنها محاولة استخدام قانون التماهي ونقيضه، فحكاية المرأة تدخل ضمن الأحداث لتصفها كتجربة و واقعة خيالية، وقد ساعدها في ذلك توظيفها للغة سردية انبنت على المجازات والصور الرمزية التي تجعل القارئ يتماهى مع مقاصد الرواية وتربكها، إنه قرار الخروج من تكريس الصورة النمطية.

حاولنا من خلال سيمياء العواطف تحديد ثنائية العشق والكتابة بين الرغبة والرهبة، فالقدرة على صنع عشاق على هذه الدرجة من الاكتمال في الصفات الإنسانية بأطيافها المختلفة.

يمكن أن نعتبر الروائية "سليمة غزالي" من الروائيات التي تنتمي إلى التيارات النسوية الجديدة التي تهزأ بفكرة المرأة الضحية مثلما تهزأ من فكرة تمثلها الرمزي كتمثيل للوطن أو طبقة أو مجموعة مقهورة، بيد أن محمول الرمز الأنثوي يستقي من متداول الأفكار، وهي فكرة مأخوذة أصلا من مخيلة الرجل والمرأة.

استطاعت الروائية في هذه التجربة أن ترسم من جديد أفكارها في فوضى الواقع والمجتمع بلغة عاطفية تنبئ بالكثير من اليأس والحزن وهذا ما تجسد وتجلى في صور عدة فالرواية(المتاهة، الحريق، الليل، تامزة، بينيلوب الجزائر) بتطرقها لقضايا تنوعت بين المجتمع والسياسة.

إن خطاب الرواية غالبا ما ارتبط بالعاطفة، إذ تغدو عاطفة المرأة بتجلياتها وبتغيراتها مسرحا تتشابه فيها الحيثيات المتعلقة بالسياسة وعدم الاستقرار والتناقضات، الحرب وأهوالها فلا يستقيم في خضمها فكر ولا عاطفة، هذا ما أربك اللغة في حركتها وخلخل أسسها، إنها لعبة اللغة التي تخترق أفق القارئ لتجعله يبحث عن الحركة من السكون فتعكس لنا الانفعالات الأنثوية ضمن الإيقاع المتواتر والمتساوي.

وأخيرا توصلنا إلى اكتشاف كتابة جديدة مميزة لمزجها بين اللغة والرمز، كسرت بها الروائية جدار الصمت وأثبتت فعاليتها بطاقة مشحونة بالعواطف رغم أنها لم تعترف بها في الرواية تقول:" اليوم العواطف لا أهمية لها، ماله أهمية اليوم هو معنى الأشياء؟" مما جعلنا نستنتج مخططا عاطفيا تنازليا تخمد فيه المفاهيم العقلية والمدركات الحسية وهنا تكون القوة للخطاب.

الهوامش:

1 سليمة غزالي من مواليد 1959، كاتبة وصحفية مسؤولة عن أسبوعية " La Nation" اختيرت رئيسة تحرير أولى لسنة 1996 بنيويورك ، حازت على جائزة النادي الدولي للصحافة سنة 1995 وجائزة ساخروف سنة 1997 ، وجائزة أولف بالم سنة 1998 ، عشاق شهرزاد هي أول عمل روائي يصدر لها.

2 Elisabeth Rallo Dithi ,Jacque Fontanille, Patrizia Iobordo , Di chommoure des passions litterale , BEUN édition 2005. P 9

3 جيروم أنطوان روتي –الاهواء ترجمة سليم حداد المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ط 1 1987 بيروت ص5 .

4 Jacque fontanille , Semiotique et littérature (Essai et Methode) Edition presse universitaire de France 1999 p 63.

5 Jacque fontanille , Semiotique et littérature (Essai et Methode) Edition presse universitaire de France 1999 .p 66

6 جاك فونتاني الجيرباس غريماس –سيمياء الأهواء، ص 33.

7 المرجع نفسه، ص 33.

8 سليمة غزالي عشاق شهرزاد –دار النشر اوب باريس 1999.

9 حميد الحمداني بنية النص الســردي من منظور النقد العربي، المركز الثقافي العربي للطباعة ، ط3، 2000 ص51

10 الرواية ص6.

11 Jacque fontanil La sémiotique des passions, Des états de chose aux états d'ame Edition De Seuil , Paris 1991

12 سليمة غزالي –عشاق شهرزاد- ص 9

13 مصطفى غالب –تغلب على الخوف ط الاخيرة ، دار المكتبة الهلال بيروت 2000 ص 87.

14 رواية عشاق شهرزاد ص 6

15 رواية عشاق شهرزاد ص 7

16 جاك فونتاني، غريماس ، سيمياء الأهواء ، ترجمة سعيد بن كراد ص 142.

17 شعرية خطاب الانفعال ، مجلة علامات، ج71، ع 18، 2010، ص 326.

18 المرجع نفسه، ص 326.

19 رواية عشاق شهرزاد" ص 08.

20 بينيلوب(PENELOPE) زوجة يوليس ووالدة نيليماك في الأدونيســية، هي رمز الوفاء الزوجية، تصــدت للطامعين فيها مدة عشــرين ســنة فكانت تعدهم بأنها ســتختار أحدهم بعلا لها ريثما تنتهي من نســج كســاء لصهرها.

21 المرجع نفسه،ص08.

22 رواية عشاق شهرزاد ص 6-7-8.

23 جاك فونتاني –سيمياء الأهواء- ترجمة سعيد بن كراد،ص

24 رواية عشاق شهرزاد ص 18.

25 المرجع نفسه،ص23.